

علاقة البلاغة بالدلالة الفنية

في الآيات النورانية.

عبد المالك قرل - تلمسان

إنّ الحديث عن الدراسات البلاغية المتعلقة بالقرآن الكريم قد انطلقت من فكرة إعجاز القرآن . فقد نزل وفي العرب أفصح الفصحاء وأبلغ الخطباء وتحداهم عنى أن يأتوا بمثله فلم يقدرُوا ، كما قال الله تعالى : **“ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ”** الطور -34-

وحيثما استقرَّ أمر المسلمين انبرى مجموعة من العلماء يشرحونه ويفسرونه لم تكن جهودهم لتشكّل نظرية أو علما بذاته ، كما عرف فيما بعد باسم "إعجاز القرآن" ، وأنّ معرفة إعجازه تقتضي دراسة جميع وجوه المعاني والبيان وأسلوب الفصاحة والبلاغة.

وهكذا لم تستقر هذه الجهود إلّا بالزيادة والإبداع في وجوه عديدة من البلاغة ، والقرآن الكريم مادته الدسمة فتطور هذا المصطلح وأصبح ينظر إليه من جانب الخيال الذي يؤدي إلى الذوق الفني من خلال تصويره لدقائق المعاني ولطائف الأخيلة ، ولا يعجزه إطلاقا أن يوظف الكلمة في مستوى المعنى على أدقّ وجه وأكمل صورة.

فالصورة لا تنحصر في التشابه والاستعارات وسواها من ضروب المجاز ، ونكتتها كل صورة توحى بأكثر من معناها الظاهر ولو جاءت منقولة من الواقع⁽¹⁾. ويرى أحد النقاد الغربيين الذي استغنى في أحيان كثيرة عن مصطلح "Image" لصالح مصطلح آخر هو "Figure" "محسن" الذي يدلّ على كلّ المحسنات البلاغية وهنا تصبح الاستعارة والتشبيه مجرد محسنين⁽²⁾.

إذن فالصورة هي بنية لغوية تتخذ فيها الكلمات نسقا معينا من العلاقات المتميزة وفقا لما تقتضيه الرسالة الإلهية فخرجت في شكل يتجاوز المألوف ويغالب الدلالة الحرفية... كما هي تشكيل متكامل مكثف ناتج من اتحاد جميع الأطراف اتحادا إبداعيا....⁽³⁾.

وعلى هذا الأساس يرى الدكتور عبد المالك مرتاض أنّ الصورة لا تنحصر في الألوان البلاغية بل تمتد فسحة التوسع والتحريك والتمدد فيقول : « فالتشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية محدودة التصور ، فاصرة التمثيل... إنّما كأنها امتداد لقواعد النحو »⁽⁴⁾. ويقول في موضع آخر : « الصورة ليست تشبيها وما ينبغي لها ، وإنّما هي شيء ينجح نحو تقريب حقيقتين متباينتين »⁽⁵⁾. ومن خلال هذا كله فإذا كانت الجهة المعجزة في القرآن تُعرف بالتفكير في الوجوه البلاغية، فلا بدّ من الوقوف عند الصورة العظيمة التي ترسم بكلمات الذكر الحكيم مشاهد حيّة وحركية ترى وتشاهد، تجد المتلقي فيها منبها بين فصاحة الأسلوب وجمالية المعنى نستشفها كمثال في الآيات النورانية.

مثال قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُونُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور - الآية 35.

يتبين لنا في هذا النص مجموعة من الدلالات المعجمية و التي يجب الوقوف عليها في لسان العرب لابن منظور فيقول: نور : في أسماء الله: النور: قال ابن الأثير: هو الذي يبصر بنوره ذو العماية و يرشد بهاده ذو الغواية. و قيل هو الظاهر الذي به كل ظهور، و الظاهر في نفسه المظهر لغيره، و يسمى نورا، قال أبو منصور: و النور: من صفات الله عز و جل. قال الله عز وجل الله نور السموات و الأرض. قيل في تفسيره هادي السموات و الأرض و قيل: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، و النور : الضوء أيا كان، و قيل هو شعاعه و سطوعه، و الجمع أنوار و نيران عن ثعنب، و قد نار نورا و أنار و استنار.... بمعنى واحد أي أضاء.

و النور: هو الذي يبين الأشياء و يرى الأبصار حقيقتها قال: فمثل ما أتى به النبي (ص) في القنوب في بيانه و كشفه الظلمات كمثل النور ثم قال: يهدي الله لنوره من يشاء⁽⁶⁾

و يرى البقاعي في كتابه نظم الدرر أن الله سبحانه و تعالى في هذه بين وجه خفائه مع ظهور ضيائه و اتساعه و قوة شعاعه حتى ظل عنه أكثر الناس. فقال مبينا بإضافة النور الى ضميره أن الإخبار عنه بالنور مجاز لا حقيقة⁽⁷⁾.

و نلاحظ أن البقاعي قد ركز في تفسيره على كل لفظة لها دلالة نورانية فيقول (كمشكوة) أي مثل كوة أي حرق لكن غير نافذ في جدار، و لما دخل المشكاة في هذا المثل خفيا فقدمها تشويقا لشرحه، أتبعه قوله (فيها مصباح) أي سراج ضخيم ثاقب و هو الذبالة - الفتيلة - فاذا كان في المشكاة اجتمعت أشعته، ولو كان في فضاء لافترقت أشعته⁽⁸⁾.

و في موضع آخر يقول (الزجاجة كأنها كوكب دري) أي متألئ بالأنوار فانه إذا كان في زجاجة صافية، انعكست الأشعة المنفصلة عنه من بعض جوانب الزجاجة إلى بعض لما فيها من الصفاء فيزداد النور كما أن شعاع الشمس إذا وقع على ماء أو زجاجة صافية تضاعف النور، حتى أنه يظهر فيما يقابله مثل ذلك النور⁽⁹⁾.

و في موضع أخير يقول : و لما علم من أن هذا المثل به أنوارا متظاهرة بمعاونة المشكاة و الزجاجة و المصباح و الزيت فلم يبق ما يقوي به نوره و يزيده إشراقا، ويمده بإضاءة تقيه... و لما كان الإخبار عن مضاعفة هذا النور موجبا لاعتقاد أنه لا يخفى على أحد أشار إلا أنه بشمول⁽¹⁰⁾ علمه و تمام قدرته يعسى عنه من يربد مع شدة ضيائه.

و مما سبق يتضح أن الآيات تحمل خصوصية البلاغة من تشبيه و استعارة و غيرها، لا تكاد تخرج في مضمونها عن الصورة التي تكونها دلالة الألفاظ المستخرجة من مصدر واحد و هو النور إذ أن هناك علاقة بين التصوير و البيان نوضحه في الشكل الآتي:

الوجوه البلاغية	الجوانب الفنية (الصورة)
إطلاق المصدر على اسم الفاعل للمبالغة ^(١١) الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ • بمعنى منور لكل شيء بحيث كأنه عين نوره. قال الشريف الرضي : وفي آية استعارة على تفسير بعض العلماء - والمراد عندهم أنه هادي أهل السماوات والأرض بصرايح برهانه ونواصع بيانه. كما يهتدي بالألوان الناقبة والشهب اللامعة.	إن الصورة يغمرها النور من كل جانب ، حيث تناصرت فيها المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت على الإضاءة والتنوير، كما أن المعجم الفني للصورة طغت عليه مفردات النور مثل : الله نور... نوره، مشكاة، المصباح، زجاجة، كوكب دري، يوقد، زيتها يضيء، نار، نور، وكلها مواد يدرکها الإنسان ببصره ويتعامل معها بحواسه... أي أن هذه الأنوار مصدرها نور واحد هو الله وأنها كلها منه، بها ينير العقول والنفوس. وبها يهدي إلى الإيمان، ويكشف الحواجز عن الكون
التشبيه التمثيلي ^(١٢) مثل نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مَصَابِحٌ • شبه نور الله الذي وضعه في قلب عبده المؤمن بالمصباح الوهاج في كوة داحس زجاجة تشبه الكوكب وتضيئ تمليلاً لأن وجهه تشبه متزع من متعدد. وهو من روائع التشبيه ^(١٣)	إن التأمل في هذه الصورة يجد متعة روحية وموضوعية مجردة عن إثارة غرائز الإنسان وميولاته الدنيوية، كما يفعل المبدعون الذين يستخدمون الشمس والقمر والليل والنهار رموزاً وتعبيرات عن الجمال الجسدي للمحبوب وأحيازا وفضاءات للعشق والحب، وما احتفظت هذه الصور القرآنية من كل ذلك إلا بمضمون واحد مشترك هو العبادة والتأمل والاتصال بالكمال الإلهي ^(١٤)
حسن التخصيص، وفيها حسن تخصصات، وذلك أن وجهه بصفة النور ومُشبه، ثم تخص منه إلى ذكره بـ زجاجة وصفتها ثم رجع إلى ذكر النور والزيت، ويسمى منه، ثم تخص منه إلى ذكر الشجرة، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ثم تخص من صفة الزيت إلى صفة النور وتخلص منه إلى رجع إلى رجع الله باهدي على من يشاء ^(١٥)	

وعنى هذا الأساس يتبين من خلال هذه المقارنة بأن الصورة لا تنحصر في الألوان البلاغية، بل تنشأ عن الإحساس عبر صور لها دلالة فنية منقولة للحواس تعمل بشكل تراضي تعاوني في إدراك وتذوق جماليات النص القرآني.

المصادر والمراجع :

(1) - روز غريب - تهديد في النقد الحديث - بيروت - دار المكشوف - 1991 - ص 191.

(2) - د. محمد الولي : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي - بيروت - المركز الثقافي العربي - ط 1 - 1990 - ص 10.

(3) - أ.د. محمد طول - الصورة الفنية في القرآن الكريم - دكتوراه - 1996 - ص 19.

(4) - د. عبد المالح مرتاض - بنية الخطاب الشعري - بيروت - دار الحداثة - ط 1 - 1986 - ص 70.

(5) - المرجع نفسه.

(6) - ابن منظور - لسان العرب - دار و مكتبة الهلال - بيروت - ط 1 - ص 379-380.

(7) - برهان الدين عمر البقاعي - نظم الدرر في تناسب الآيات و السور - المنشورات الشرقية

- ط 1 - 1978 ج 13 ص (271-276) بتصرف.

(8) المصدر نفسه

(9) المصدر نفسه

(10) المصدر نفسه

(11) - محمد عبي الصابوني - صفوة التفاسير - دار الفتيان - قسنطينة - م 2 - ط 1 - 1990 - ص 302.

(12) - الزركشي - البرهان في علوم القرآن - دار المعرفة - بيروت - م 1 - ط 2 - 1994 - ص 139.

(13) - أ.د. محمد طول - الصورة الفنية في القرآن الكريم - ص

1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that proper record-keeping is essential for transparency and accountability, particularly in financial matters. The text outlines various methods for organizing and storing records, including digital databases and physical filing systems.

2. The second part of the document addresses the challenges associated with data management and security. It highlights the need for robust security measures to protect sensitive information from unauthorized access and cyber threats. The text also discusses the importance of regular backups and disaster recovery plans to ensure data integrity and availability in the event of a system failure.

3. The third part of the document focuses on the role of technology in improving record-keeping and data management. It explores various software solutions and tools that can streamline the process of data collection, storage, and analysis. The text also discusses the benefits of automation and artificial intelligence in reducing human error and increasing efficiency.

4. The fourth part of the document discusses the importance of training and education for staff involved in record-keeping and data management. It emphasizes that ongoing training is necessary to keep staff up-to-date with the latest technologies and best practices. The text also discusses the importance of clear communication and collaboration between different departments to ensure accurate and consistent data recording.

5. The fifth part of the document discusses the importance of regular audits and reviews of the record-keeping system. It emphasizes that audits are necessary to identify any weaknesses or areas for improvement in the system. The text also discusses the importance of maintaining a clear audit trail and documenting all changes and updates to the system.

6. The sixth part of the document discusses the importance of compliance with relevant laws and regulations. It emphasizes that organizations must ensure that their record-keeping practices comply with all applicable legal requirements. The text also discusses the importance of staying up-to-date with changes in legislation and regulatory standards.

7. The seventh part of the document discusses the importance of data privacy and protection. It emphasizes that organizations must take appropriate measures to protect the privacy of individuals whose data is being collected and stored. The text also discusses the importance of obtaining informed consent from individuals before collecting their data and ensuring that data is used only for the purposes for which it was collected.

8. The eighth part of the document discusses the importance of data retention and disposal policies. It emphasizes that organizations must have clear policies in place regarding how long data should be retained and how it should be securely disposed of when it is no longer needed. The text also discusses the importance of documenting these policies and ensuring that they are consistently followed.

9. The ninth part of the document discusses the importance of data backup and recovery. It emphasizes that organizations must have a reliable system in place for backing up data regularly and recovering it in the event of a disaster. The text also discusses the importance of testing the backup and recovery process to ensure its effectiveness.

10. The tenth part of the document discusses the importance of data security and protection. It emphasizes that organizations must take appropriate measures to protect their data from unauthorized access and cyber threats. The text also discusses the importance of using strong passwords, encryption, and other security measures to protect data.